

الصعلكة وأثرها الإبداعي عند أمل دنقل

دكتور محمد راضي محمد الباز الشيخ^١

ملخص البحث

هذا بحث بعنوان: "الصعلكة وأثرها في إبداع أمل دنقل" وهنا الصعلكة بوصفها ظاهرة اجتماعية ظهرت في المجتمع العربي الجاهلي واستمرت ردحا من الزمن، هذه الظاهرة انعكست بدورها على الشعر العربي في عصوره المختلفة، وهذا البحث أحاول فيه إلقاء الضوء على هذه الظاهرة التي ظهرت واشتهرت في العصر الجاهلي، وسمى الشعراء الذين انتهجوا هذه الظاهرة في شعرهم بالشعراء الصعاليك، من أمثال "عروة بن الورد"، و"وتأبط شراً"، و"السليك بن السلوك"، وغيرهم، وهي فكرة اجتماعية ثورية كان لها إنعكاس على المضامين الشعرية، ومن ثم الرؤية الإبداعية، أوضح أن هذه الظاهرة كان لها امتداد زمني حتى عصرنا الحديث، فهناك مجموعة من شعراء العصر الحديث وأدباؤه اعتنقوا هذه الأفكار، من بينهم الشاعر "أمل دنقل" وهو من الجيل الثاني لشعراء مدرسة الشعر الحر، وتمثلت ملامح هذه الظاهرة في شعر "أمل دنقل"، لأن الكثير من المضامين الشعرية، والرؤي الإبداعية للشاعر تماهت مع ملامح شعر الصعاليك في الشعر الجاهلي، وحاول البحث استنطاق النصوص الشعرية للشاعر لإثبات تلك الفرضية، وقد أتى البحث في مقدمة ومبحثين، في المقدمة تحدثت عن فكرة البحث، ثم المبحث الأول أتى بعنوان "الصعلكة في الأدب العربي"، وأما المبحث الثاني فقد أتى بعنوان: "الصعلكة في شعر أمل دنقل" ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج، ثم أخيرا قائمة بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الصعلكة، الرؤية الشعرية، إبداع، التمرد

Abstract

This Abstract is a search called friendship and its impact on Amal Dunkul creativity and they tried to shed view on this phenomenon that has emerged and famous the ignorant age and the names of poets who produced this phenomenon in their hairy, trampolic hair like the orwah ibn alward, tappata shara, and Asolik ebn Asolakah and others, Yen is poetry and then the initial novel and try to put this flourish that they have a time country until our modern age, there is a set of modern times and it has given us the powers of these ideas, including the poet, and say he is a second generation poetry school, free- haired school, and the features of this phenomenon were Amal Dukols poetry because so many poetry ideas and the poet,s creative

^١ الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد الأدبي، كلية اللغة العربية جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية.

visions rare similar to those of the tramp poetry in the ignorant age and the research is about reading poetry texts to prove that search came up front and searching the front and then the first research the address of friendship in Arab literature and the second researcher the title of friendship in dunkols poetry the conclusion and the most important results and then finally a list of sources.

Keywords: Poetic vision, creative, Rebellion, the troll

مقدمة

الحمد لله وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا بحث بعنوان: "الصعلكة وأثرها الإبداعي عند "أمل دنقل"، أحاول فيه أن ألقى الضوء على هذه الظاهرة الاجتماعية التي انعكست انعكاسًا ظاهرًا على الشعر العربي في عصوره المختلفة، واخترت النموذج التطبيقي لها في القصيدة الحديثة قصيدة "أمل دنقل"، وكان لهذه الظاهرة الشعرية حضور لافت في الشعر الجاهلي فيما عرف "بالشعراء الصعاليق" ومنهم عروة بن الورد، وتأبط شرا، والسليك بن السلوك وغيرهم، هؤلاء الشعراء اشتهروا بكتابة الشعر الذي يحمل أنات الفقراء والمهمشين ويدافع عن قضاياهم، والحديث عن العدالة الاجتماعية، وتوزيع الثروة في هذا الوقت المبكر شديد التبكير، وكان هذا النوع من الشعر بما يحمل من قضايا ومضامين فكرية مختلفا أشد الاختلاف عما يكتبه بقية الشعراء العرب، وكان لهذه المضامين والرؤى الفكرية إنعكاس على الظواهر الفنية والصور الشعرية، ومن ثم كان هذا الشعر يمثل نبرة مختلفة عما ألفه العرب من الشعر وقتئذ، ولاقي قبولًا عند متلقي الشعر العربي على مر العصور واستمرت هذه الظاهرة الفنية إلى ما بعد العصر الجاهلي وإن خفت حدتها مع مجيء الإسلام بقيمه التي أرساها في المجتمع ومن ثم قضت على معظم الأسباب التي تسببت في ظهور الشعراء الصعاليق، لكن سرعان ما وجدت هذه الظاهرة الشعرية في العصر الحديث وإن اختلفت في مظاهرها عما هو في الشعر الجاهلي، ومن هنا إرتأيت أن أدرس هذه الظاهرة الفنية على واحد من شعراء القصيدة الحديثة، وهو الشاعر المبدع أمل دنقل.

المبحث الأول: ظاهرة الصعلكة في الأدب العربي:

الصعلكة بوصفها ظاهرة أدبية واضحة في الشعر الجاهلي، انتهجها مجموعة من الشعراء في العصر الجاهلي سمو بالشعراء الصعاليق.

الصعلوك في اللغة: الفقير الذي لا مال له، وزاد الأزهري "ولا اعتماد" وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك، قال حاتم الطائي:

غَيْنِيَا زَمَانًا بِالتَّصَعُّكِ وَالغِنَى فَكَلًّا سَقَانَاهُ بِكَأْسِيهِمَا الدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانًا، وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفُقْرُ^٢

وتدور الصعلكة في معناها حول الفقر إما دلالة مباشرة، كما يتضح من بيتي حاتم الطائي السابقين، وإما أن تدل على معنى الفقر وآثاره من ضمور وهزال، وزيادة الأزهري "ولا اعتماد" تزيد من عمق مأساة الصعلوك، فبالإضافة إلى الفقر الذي يعانیه، لا يجد من يساعده، ويعينه على تحمل مصاعب حياته، ويعلق الدكتور "يوسف خليف" و هو أول من درس الصعاليك دراسة علمية موثقة. قائلًا: "إن الصعلوك: هو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، ولا اعتماد له على شيء أو أحد يتكئ عليه، أو يتكل عليه ليشق طريقه فيها ويعينه عليها حتى يسلك سبيله كما يسلك سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة، ويواجهون مشكلاتها يداً واحدة ويضيف أو هو بعبارة أخرى. الفقير الذي يواجه الحياة وحيداً، وقد جردته من وسائل العيش فيها وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها"^٣، فالمسألة إذا ليست فقرًا وحسب، ولكنها فقر يغلق أبواب الحياة في وجه صاحبه، ويسد مسالكها أمامه، يقول الدكتور شوقي ضيف عن هذه النقطة: "إن الصعلكة تحولت في أواخر العصر الجاهلي إلى نظام من الفروسية والشجاعة تقوم على السلب والنهب ولكنهم لا يسلبون سيداً كريماً"^٤.

أي لم تكن غايتها السلب والنهب وقطع الطريق، وإنما كانت فكرة ثورية لها مؤيدوها الذين يؤمنون بها، ويتجمعون حولها بحيث أصبحت رباطاً جامعاً يجمع مجموعة من الشعراء التقوا على أهداف واحدة، ويرى الدكتور يوسف خليف: أن كلمة الصعلكة تدور في دائرتين، "دائرة لغوية"، "دائرة اجتماعية"، وتبدأ الدائرتان من نقطة واحدة هي الفقر، أما الدائرة اللغوية، فهي التي تدل على معنى الفقر وما يتصل به من حرمان في الحياة، وضيق في أسلوب العيش، أما الدائرة الاجتماعية، ففيها ترى المادة تتطور لتدل على صفات خاصة تتصل بالوضع الاجتماعي للفرد في مجتمعه، وبالأسلوب الذي يسلكه في حياته لتغيير هذا الوضع^٥، وهذا ما عناه الدكتور عبد الحليم حنفي حين عرّف الصعلكة بأنها: "احتراف السلوك العدواني بقصد المغنم"^٦.

إذا الصعلكة بوصفها ظواهر وسلوكا، ورد الكثير من أخبارها في العصر الجاهلي وشعره بصورة خاصة، وورد جانب

٢- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة "صعلك"، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، د. ت، ١٠ / ٤٥٥.

٣- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط ٣، ١٩٦٦، ٢٣.

٤- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي الجاهلي، دار المعارف ط ٨، د. ت، ٣٧٦.

٥- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ٢٦.

٦- عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك خصائصه ومنهجه، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧، ٣٨.

كبير من ذلك على ألسنة شعرائها، وشعراء العصر، ورواة الأخبار، وقد كانت ظاهرة الصعلكة في العصر الجاهلي واضحة المعالم والسمات، فقد أخذ شعراء هذه الظاهرة الذين يُعتون بالشعراء الصعاليك ينقلون أخبار مجموعتهم هذه ويصفون أحوالها ومن أشهرهم "عروة بن الورد"^٧، والسليك بن السلعة، وتأبط شرا، والشنفرى. يستنتج من هذا أن الصعلكة لم تكن حدثاً من الأحداث الطارئة أو العارضة في حياة المجتمع العربي قبل الإسلام، بل هي: "ظاهرة نبعت من ظروفه ولازمته كجزء منه"^٨.

المأمل في أخبار الصعاليك وأشعارهم يلفت نظره شعورهم الحاد بالفقر، وإحساسهم المرير بوقعه على نفوسهم وشكواهم الصارخة من هوان منزلتهم الاجتماعية وعدم تقدير المجتمع لهم، وعجزهم عن الأخذ بنصيبيهم في الحياة كما يأخذ سائر أفراد مجتمعاتهم، أو الوقوف معهم على قدم المساواة في معترك الحياة لا لأنهم هم أنفسهم عاجزون، وإنما لأن مجتمعاتهم ظلمهم وحرمتهم من تلك العدالة الاجتماعية، وجردهم من كل الوسائل المشروعة التي يواجهون بها الحياة كما يواجهها غيرهم ممن توفرت لهم هذه الوسائل^٩.

وقد كان وراء هذه الطائفة من المجتمع الجاهلي أسباب اقتصادية، واجتماعية مختلفة، في مقدمتها الفقر والتفاوت الاجتماعي والطبقي، وصرامة التقاليد والأعراف البدوية، كل هذه الأسباب أسهمت في ظهور الصعلكة بوصفها ظاهرة واضحة المعالم في العصر الجاهلي.

الصعلكة لم تكن نزعة اعتداء وإغارة، خالية من القيم والأخلاق، فالصعلكة عند قائدهم عروة بن الورد "نزعة إنسانية نبيلة، وضريبة اشتراكية يدفعها القوي للضعيف والغني للفقير، وفكرة اشتراكية تشرك الفقراء في مال الأغنياء، وتجعل لهم فيه نصيباً بل حقاً يغتصبونه إن لم يؤد إليهم، وتهدف إلى تحقيق لون من ألوان العدالة الاجتماعية، والتوازن الاقتصادي بين طبقتي المجتمع المتباعدتين، طبقة الأغنياء، وطبقة الفقراء، فالغزو والإغارة للسلب والنهب لم يعد عنده وسيلة وغاية، وإنما أصبح وسيلة غايتها تحقيق نزعة الإنسانية وفكرته الاشتراكية"^{١٠}. إذا. كما قيل سابقاً. إنها فكرة تحركها نوازع نفسية نبيلة، والإغارة والسلب، ليست غاية في ذاتها، وإنما هي وسيلة لغاية أكبر، هي تحقيق نوع من العدالة الاجتماعية في المجتمع الجاهلي الذي يعج بالطبقية، ويضيف عبد الحلیم

٧- عروة بن الورد: هو عروة بن الورد بن زيد العباسي، وقيل: ابن عمر بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عود، شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها، وصلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد، وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم، ولم يكن لهم معاش ولا مغزى أو إذا أصابت الناس سنة شديدة. الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار صعب، بيروت، عن طبعة بولاق الأصلية (د. ت)، (د. ط)، ٢ / ١٩٠.

٨- عبد الحلیم حنفي، شعر الصعاليك خصائصه ومنهجه، ٤٠.

٩- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ٣٢: ٣٣.

١٠- الشعراء الصعاليك: يوسف خليف، ص ٩.

حنفي شارحًا طبيعة "عروة بن الورد"، وسلوكه الاجتماعي أنه "امتاز بأنه أضفى على الصعلكة كثيرًا من الاحترام والتقدير سواء أكان في عصره الجاهلي أم فيما تلاه من بعض عصور الإسلام، وذلك فيما تحلى به عروة من خلق فريد في السخاء والعطف الشديد على الفقراء، وتواضعه الشديد معهم، وتطبيق أكرم صور الاشتراكية معهم سواء في بذله ما عنده لهم أو في مقاسمتهم إياه غنائمه في غزواته وغاراته"^{١١}.

ظلت هذه الظاهرة موجودة، وحاضرة بقوة في العصر الجاهلي، وكان لها ما يسوغها من وجهة نظر أصحابها، ومن وجهة نظر المتعاطفين معها، حتى إذا جاء الإسلام بقيمه وأخلاقه، التي أعلنت من قيم الحرية، والعدالة الاجتماعية، والزكاة التي جعلها فريضة وحقًا للفقراء في مال الأغنياء، وأعلى الإسلام من قيمة الإنسان، وجعل الناس كلهم سواسية كأسنان المشط، وأصبح من حق الدولة أن تقيم الحد وتنزل العقاب على من يخرق قوانين المجتمع ويقدم على الإغارة والسلب والنهب تأديبًا له وصيانة للمجتمع من هذه الانحرافات^{١٢}، الكلام السابق يعني أن الصعلكة ضعفت ضعفًا شديدًا مع بداية الإسلام، لزوال أهم أسبابها التي قامت من أجل تحقيقها، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنها لم تكن انحرافًا في فطرة أصحابها بقدر ما هي فكرة ثورية أخطأ أصحابها أم أصابوا في طريقة أخذ حقوقهم من مجتمعهم الذي ظلمهم، ولم يعطهم حقوقهم كبقية طوائف المجتمع الأخرى لأنها زالت بزوال أسبابها، أو ضعفت ضعفًا شديدًا، عندما أتى الإسلام، وأرسى منظومة قيمه من حرية وعدالة ومساواة.

في العصر الحديث أخذت الصعلكة مظهرًا جديدًا يقوم على الفكر، والسياسة ونقد المجتمع، وهذا يدل على أن مفاهيم الصعلكة تتطور من عصر إلى عصر بتطور أشكال الحياة والطبيعة التي يعيشها المتمردون في كل زمان واعتنقها المبدعون.

تميز العصر الحديث بأنه عصر العلم والتطور، فتطورت الحياة البشرية، ووسائل معيشتها تطورًا مذهلاً، وفي المقابل ظهر اختلال في قيم المجتمع وشيوع ظواهر، وأوبئة اجتماعية من طمع الإنسان فيما يملك غيره، ومن حب السيطرة والتملك، والأثرة والأنانية، ونهب ثروات الشعوب بأي حجة، فلن يعدم المغتصب الحجج إذا فقد ضميره، وفقد تعاطفه الإنساني مع أخيه الإنسان وتفشت ظواهر الاضطهاد والظلم، وقمع الحريات وعادت الطبقة في صورة أقصى من سابقها في العصور الماضية، وهذه المرة لم تكن من الاستعمار ولكن من بني جلدتنا؛ ولذا نستطيع أن نقول: "إن صعلكة اليوم صعلكة فكر وفن، وظرف وفكاهة، ... وصعلوك اليوم رقيق الحس والمشاعر يحركه إحساس بالانعزال داخل مجتمعه، الانعزال النابع من رغبته في إعادة التوافق مع الآخرين"^{١٣}.

نفهم من هذا أن صعاليك اليوم يختلفون عن صعاليك الأمس، فصعاليك أو متصعلكوا هذا العصر ليسوا فئة

١١- عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك خصائصه ومنهجه، ١١٥.

١٢- حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في صدر الإسلام والعصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط ٣، ١٩٩٧، ١٤٢.

١٣- عاطف بجمت، الصعلكة في الشعر المصري الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٣ م، ٣٤.

"تقطع الطريق، وتستاق الإبل، وتنهب الأغنياء لحساب الفقراء، ولكنهم فئة مثقفة واعية يضيقون بالأغنياء لا لغناهم ولكن لأوضاعهم المتميزة في المجتمع بسبب ثرائهم فقط"^{١٤}.
من الواضح أن ما يجمع صعاليك اليوم، وصعاليك الأمس هو التمرد، والخروج على ما يسود المجتمع من ظلم وتفاوت في الحقوق، ورفض الأوضاع الجائرة، ويذكر الدكتور عاطف بجحت أن أبرز شعراء الصعلكة حديثاً عبد الحميد الديب، وعلي محمود طه، وصلاح عبد الصبور، وأمل دنقل، وأحمد عبد المعطي حجازي^{١٥}.
وأنا أختلف مع هذا القول جملة، فلا تنطبق الصعلكة بمفهومها المتكامل إلا على اثنين فقط مما ذكر وهما أمل دنقل، وعبد الحميد الديب، مع الفارق الكبير بينهما صحيح إن البؤس الذي عانى منه الشاعران متشابه ويكاد يكون واحداً إلا أن بؤس عبد الحميد الديب ذاتي وناتج عن نهم شديد إلى الحياة في حين إن بؤس أمل دنقل عام وناتج عن زهد في الحياة ولو أن عبد الحميد الديب وجد الأبواب الواسعة إلى النعيم كما وجدها أمل دنقل لما تردد عن دخولها غير هيب ولا متحرج، وهذا الفارق يكفي لمعرفة ما بين الشاعرين من تباين واختلاف^{١٦}. وأما صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي عاشا عيشة رغدة هنية نعموا بملذاتها، ولم يعيشوا حياة البؤس والفقر.

المبحث الثاني: الصعلكة وأثرها على رؤية أمل دنقل الشعرية :

هو محمد أمل فهيم أبو القسام محارب دنقل، ولد سنة ألف وتسعمائة وأربعين من الميلاد (١٩٤٠)، بقرية القلعة، مركز مدينة قفط، على مسافة قريبة من مدينة قنا في أقصى صعيد مصر، وقد صدرت له ست مجموعات شعرية هي على الترتيب: الديوان الأول: "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة"، بيروت سنة ١٩٦٩م، الديوان الثاني: "تعليق على ما حدث"، بيروت سنة ١٩٧١م، الديوان الثالث: "مقتل القمر"، بيروت سنة ١٩٧٤م.
الديوان الرابع: "العهد الآتي"، بيروت ١٩٧٥م، الديوان الخامس: "أقوال جديدة عن حرب البسوس"، القاهرة سنة ١٩٨٣م، الديوان السادس: "أوراق الغرفة رقم ٨"، القاهرة ١٩٨٣م.

أمل دنقل "عزف عن مباحج الحياة، ومناصبها، ولو رضي وآثر السلامة لعاش حياة رغدة ملؤها البهجة والنعيم، والشهرة، والمجد الشخصي، مثل ما فعل صديق عمره عبد الرحمن الأنثودي، وفعل أستاذه وقدوته أحمد عبد المعطي حجازي، وصلاح عبد الصبور وغيرهم. لكنه رفض كل المغريات، وكان مخلصاً لفكرته متماهياً معها أشد التماهي، وآثر أن يكون في صف الفقراء والمهمشين، ومع الحقوق والحريات ووقف إلى جانب قضايا أمته المصرية. إذ كيف تعيش عيشة الترف والنعيم، وتتحدث عن الفقراء والمهمشين فما أقسى القوى خطيئاً بين الضعفاء.

١٤- المصدر السابق نفسه.

١٥- عاطف بجحت، الصعلكة في الشعر المصري الحديث، ٣٤.

١٦- عبد العزيز المقالح، مقدمة الأعمال الكاملة للشاعر: أمل دنقل، ٢٦.

إن الصعلكة بمفهومها السابق قد وظفت في الشعر الحديث بوصفها رمزًا للتمرد والثورة على الظلم والاحتجاج على الواقع الراهن، وما يعتره من قهر واستبداد، وغالبا ما ينصب التمرد على غياب الحريات والإقصاء والتهميش. وأمل دنقل كان واحدًا من الشعراء الصعاليك المعاصرين الذين زهدوا عن عالم المغريات المختلفة المتوفرة لشعراء البلاط إذا جاز التعبير، كان صورة فريدة في صعلكته وفي محافظته على الصعلكة الشعرية بثوبها المعاصر^{١٧}. كان حريصًا على البقاء في خط الشعب، والدفاع عن آلامهم وأحلامهم ورؤاهم. كان قارئًا جيدًا لتراث أمتة العربي والإسلامي. اتضح هذا من سيرته، اطلع على تراث الشعراء الصعاليك وتبين صفاتهم، وطرائق سلوكهم، وأهدافهم النبيلة، وطبيعة علاقتهم بالمجتمع التي رأى فيها ما يعبر عن مواقفه تجاه مجتمعه، ويصور آراءهم، وسعيهم في سبيل التصدي لمشكلاتهم الاجتماعية، ويحسن بي أن أحدد بعض السمات العامة لشخصية الشعراء الصعاليك من خلال قراءة شعرهم، وما كتب عنهم وتماهي هذه الصفات مع صفات "أمل دنقل" وأخلاقه، والتدليل عليها من شعره.

الفقر الشديد المرتبط بالفروسية، والمروءة والكرم فهم لا يغيرون على الأغنياء الكرماء، بل على الأغنياء البخلاء. البحث عن الحرية والكرامة والسعي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، ورفض الذل والمهانة، تظهر في شعرهم روح الفروسية، والشجاعة والقوة والمعاني التي تدل على أنهم يترفعون عن الدنيا، وسفاسف الأمور^{١٨}. وإذا ما نظرنا إلى هذه الصفات، سنجد في سيرة "أمل دنقل" الكثير من هذه الصفات تمثلها في حياته فكراً وسلوكاً، وسنجد أن الموضوعات التي كانت بؤرة اهتمام الشعراء الصعاليك وظهرت واضحة جلية في شعرهم كانت هي الأخرى بؤرة اهتمام الشاعر أمل دنقل.

أذكر بعض الأمثلة من سيرته، ومن شعره للتدليل على التماهي والالتحام مع الشعراء الصعاليك "كان أمل دنقل زاهدًا معتزًا بنفسه، رافضًا أن يقع في شرك الملذات أو لإغرائها والدليل على ذلك أنه كان يسبح ضد التيار، ويعيدا عن أن يمنحه ما يشاء وأن يفرش طريقه بما لُدَّ وطاب، لكنه كان يعيش الحياة بالمعنى الواسع، وحبها لها لا يقف عند العابر والزائل"^{١٩}.

كانت أخبار الصعاليك وشعرهم. وخاصة عروة بن الورد. غاصة بأفكار تتصل بمشكلة الفقر والغنى، وتنادي بثورة المستضعفين من فقراء هذا المجتمع والمضطهدين، وكان شعر أمل دنقل. أيضا. غاصًا بهذه الأفكار والقضايا،

١٧- المصدر السابق، ٢٥.

١٨- انظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، وانظر أيضا: عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك خصائصه ومنهجه.

١٩- عبد العزيز المقالح: أمل دنقل يعيش الحياة ويحب الناس، مقال على شبكة الانترنت

فالكثير من قصائده تحدثت عن الفقراء والمضطهدين، وما توظيفه لشخصية "عنترة بن شداد" بوصفه رمزاً للشعب المهمش إلا أثراً من آثار فكر الصعاليك وثورتهم، يقول أمل دنقل:

أيتها النبية المقدسة ..

لا تسكتي .. فقد سكتُ سنةً فسنةً

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لي "أخرس"

فخرستُ .. وعميت .. وائتممتُ بالخصيان!

ظلمتُ في عبيد (عبس) أحرس القطعان.

أجتزُ صوفها ..

أردُ نوقها ..

أنام في حظائر النسيان

طعامي: الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات اليابسه

وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكمأة .. والرماة .. والفرسان

دُعيت للميدان !

أنا الذي ما ذقتُ لحم الضأن

أنا الذي لا حول لي أو شأن

أنا الذي أقصيتُ عن مجالس الفتيان ..

أدعى إلى الموت .. ولم أدعَ إلى المجالسة !! ٢٠

هنا يجسد مأساة الطبقات الفقيرة المهمشة من الشعب التي تحرم من حقها في خيرات الوطن وثرواته وتحيا حياة الكفاف وفي ذات الوقت وحدها تحمل هم الوطن، وهذا من الموضوعات المهمة التي احتفى بها الشعراء الصعاليك فهي من فحوى خطابهم الشعري، ونظرهم لمجتمعهم.

- كان الصعاليك برغم فقرهم، وما يلاقونه من مجتمعهم كرماء وكان يضرب بهم المثل في الكرم، وأمل دنقل كان مثلاً للكرم رغم فقره، يدلنا على هذا سيرته، كما تذكر السيدة "عبلة الرويني" زوجته: "كان يحمل بؤس الفقراء

٢٠- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة"، قصيدة "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة"، ٩٧: ٩٨.

والمطحونين ويمتلك معهم الكثير من المعاناة والعذابات الطويلة^{٢١}، كان من الممكن أن يمر عليه اليوم واليومان ولا يمتلك مليماً واحداً، وحين يملك خمسين أو ستين جنيهاً يدعوا أصدقاءه إلى العشاء^{٢٢}.
كان يقاسم أصدقاءه غرفاتهم، ونصف السرير ونصف الرغيف، ونصف اللفافة، والكتب المستعارة ... ثم يمضي تاركاً ذكرياته وأوراقه وشعره وكتبه، وملابسه في غرف الأصدقاء^{٢٣}، فيقول:

وجه

كان يسكن قلبي

وأسكن غرفته

نتقاسم نصف السرير

ونصف الرغيف

ونصف اللفافة

والكتب المستعارة^{٢٤}

كان المال يسبب له حساسية خاصة تمس كبريائه وهو الكريم، بل وشديد الكرم إلى آخر ملهم في بيته، فأمر طبيعي أن يقتسم ما في جيوب أصدقائه، وأن يستدين جنيهاً من أول شخص يلتقي به، وأمر أكثر طبيعية، أن يصبح كل ما في جيبه لمن يلتقي بهم ودون انتظار سؤال^{٢٥}، وهذا لأنه عاش فقيراً لا يهتم بجمع المال ولا يرى له قيمة في تقدير الناس، يدل على هذا سيرته، إنه ممتلئ إحساساً بالناس، خاصة الفقراء منهم، بل إن الأغنياء يصيبنونه بحساسية خاصة في التعامل، ولكنه كان يتعامل مع الأغنياء الذين يكونون ثرواتهم على حساب الفقراء، وعلى حساب كدهم وعرقهم مثل نظرة الصعاليك لأثرياء زمانهم البخلاء الأشحاء، يقول:

هذه الأرض حسناء .. زينتها الفقراء . لهم تَتَطَيَّبُ ..

يعطونها الحب .. تعطيهم النسل والكبرياء

قلت: لا يسكن الأغنياء بها. الأغنياء الذين

يصوغون من عرق الأجراء نُفُودَ زنا .. ولآلى

تاجٍ وأقراطٍ عاجٍ .. ومسبحة للرباء

٢١- عبلة الرويني، الجنوبي، ٥٧.

٢٢- المصدر السابق، ٧٧.

٢٣- المصدر السابق، ١١.

٢٤- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان "أوراق الغرفة ٨"، قصيدة "الجنوبي"، ٣٦٧.

٢٥- عبلة الرويني، الجنوبي، ١١.

إنني أول الفقراء الذين يعيشون مغترين ..

يموتون محتسبين لديّ العزاء

قلت: فلتكن الأرضُ لي .. ولهم!

(وأنا بينهم)

حين أخلع عني ثياب السماء

فأنا أتقدسُ . في صرخة الجوع . فوق الفراش الحشِن !^{٢٦}

اهتم أمل دنقل في قصيدته بالفقراء والكادحين الذين يكسبون قوت يومهم من الأعمال الشاقة مثل أعمال البناء، والمقاولات، وعمال البناء هؤلاء لا يلتفت إليهم أحد فلم ينس في شعره أن يجسد معاناة هؤلاء، فيقول في واحد منهم لقي حتفه أثناء عمله:

وجه

من أقاصي الجنوب أتى .. عاملاً

للبناء

كان يصعد "سقالة" ويغني لهذا الفضاء

كنت أجلس خارج مقهى قريب ..

وبالعين الشارده ..

كنت أقرأ نصف الصحيفة ..

والنصف أخفي به وسخ المائد

لم أجد غير عينين لا تبصران ..

وخيط الدماء

وانخبت عليه .. أجس يده

قال آخر: لا فائده

صار نصف الصحيفة كل الغطاء

وأنا .. في العراء .^{٢٧}

٢٦- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان "العهد الآتي"، قصيدة "سفر التكوين الإصحاح الرابع" ص ٢٦٨ : ٢٦٩ .

٢٧- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "أوراق الغرفة ٨"، قصيدة: "الجنوبي"، ٣٦٩، ٣٧٠ .

أمل دنقل لا يبحث عن سند خارج ذاته^{٢٨}، وهذا يذكرنا بعبارة "الأزهري" "لا اعتماد"، وهكذا كانت طبيعته، علمته الحياة، وتجاربها أن يعتمد على ذاته وذاته فقط ليس غيرها؛ لأنه عاش يتيمًا واستولى أعمامه على إرثه أمام عينيه فنشأ عصاميًا لا يعتمد على أحد إلا نفسه وموهبته الشعرية "فرجولته المبكرة وحزنه الدفين زرع فيه إرادة لا توصف، إرادة مكنته من تخطي زمنه وتجاوز عمره"^{٢٩}، وهو يتماهى مع الشعراء الصعاليك في هذه الصفة، فكل ما حققه في عالم الشعر العربي هو نتاج موهبته، دون سند أو مساعدة من أحد.

شكل الرفض والخروج على الشرعية لديه قيمة رئيسة في حياته الشعرية، كان الرفض هو أيقونة شعره، رفض كل الظلم، كل القهر، رفض قمع الحريات، وقصف الأقلام، وتكميم الأفواه، وهذا ما تؤكدته السيدة عبلة الرويني بقولها: "كان جوهر علاقته بيوسف إدريس هو الصعلكة ليس بالمعنى الساذج للكلمة، ولكن بمعنى الرفض والخروج على الشرعية"^{٣٠}.

كان حاد المزاج، لا يحب منطقة الوسط، ولا ينتمي للمناطق الرمادية، يمقت الحلول الوسط، ويحتقر الانفعالات الوسط، يحب أو يكره، يبارك أو يلعن .. هارباً من كل مناطق الحياد التي تقتله^{٣١}، وهذه هي طبيعة الشعراء الصعاليك.

كان أمل دنقل يعشق الحرية، بل هي محبوبته الأثيرة، المستعد دائما لبذل الغالي والنفيس من أجل تحقيقها، "كان دائما يقول: إن الحرية هي المستقبل"^{٣٢}، وصور تلك المشاعر والرغبة فيها صوراً حية نابضة بالحركة والحياة فيقول:

آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق !

ربما ننفق كل العمر كي نثقب ثغرة

ليمرّ النور للأجيال .. مرة^{٣٣}

كان الشعراء الصعاليك مشهورين بالشجاعة، حيث كانت علامة بارزة تميز شخصيتهم، وإلا لما ركبوا الصعاب، وامتطوا الأخطار و"هذه الشجاعة الفائقة، لم تكن مقصورة على صعولك دون صعولك وإنما كانت صفة يمتاز بها

٢٨- عبلة الرويني، الجنوبي، ٣٥.

٢٩- على رحمان، الرفض والتجاوز في شعر أمل دنقل، ماجستير تخصص نقد أدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، الجزائر، ٢٠٠٣، ٤.

٣٠- عبلة الرويني، الجنوبي، ٣٩.

٣١- المصدر السابق، ١٢.

٣٢- المصدر السابق، ١٥.

٣٣- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: "تعليق على ما حدث"، قصيدة "حكاية المدينة الفضية"، ٢٣٣: ٢٣٤.

كل صعاليك هذه الطائفة، حتى أصبح الصعلوك مثلاً يضرب في الشجاعة"^{٣٤}. كان أمل دنقل بين أبناء جيله من الشعراء فارساً شجاعاً لا ينحني إلا لقلمه وفكره، ورؤيته الشعرية بيدع ويعلم إبداعه لمتلقيه دونما خوف من عواقب هذا الإبداع مهما كلفه ذلك، بعد هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧م، كتب قصيدة "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" أخذ يقرأ القصيدة قبل نشرها، وهي قصيدة جريئة تحطت كل حواجز الخوف والرهبنة من النظام في ذلك الوقت، حذره الكثيرون من نشرها، بل ومن التلفظ بها، لكنه لم يتردد، وسارع في نشرها وجعلها بعد ذلك عنواناً لديوانه الأول، كما قرأها في أكثر من منتدى شعري، وفي أكثر من ملتقى أخوي وفيما تبقى من عام ١٩٦٧م، وإلى أوائل السبعينيات كانت القصيدة على كل لسان، فليس قبلها قصيدة وليس بعدها قصيدة نالت ما نالته من الشهرة والذيع، كانت القصيدة شجاعة وجارحة"^{٣٥}. رأينا في السطور السابقة كيف تماهى أمل دنقل مع الشعراء الصعاليك في الكثير من فلسفتهم الفكرية وصعلكتهم، وأوردنا دلائل على ذلك من شعره ومن حياته الشخصية المسجلة.

الخاتمة والنتائج :

من النتائج التي توصل إليها البحث :

أن الصعلكة بوصفها ظاهرة فلسفية، وفكرة ثورية، وجدت في الشعر الجاهلي وكان لها امتداد في تاريخ الشعر العربي، ومازالت لها أصدائها في الشعر العربي الحديث، هذه الظاهرة الاجتماعية كان لها أثر إبداعي على القصيدة الحديثة وفي القلب منها قصيدة أمل دنقل، حيث أثرت في رؤيته الشعرية ومن ثم في تناوله لقضايا الأمة، الاجتماعية، والسياسية، والفكرية. تماهى أمل دنقل في العديد من قصائده مع المضمون الفكري والفني لشعر الصعلكة المعروف في تراثنا الشعري.

المصادر والمراجع

- أمل دنقل: الأعمال الكاملة، دار الشروق، ط ٢، ٢٠١٢م.
حسين عطوان: الشعراء الصعاليك في صدر الإسلام والعصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط ٣، ١٩٩٧.
عبد الحلیم حنفي: شعر الصعاليك، خصائصه ومنهجه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
عبلة الرويني: الجنوي، دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٢م.
عاطف بهجت: الصعلكة في الشعر المصري الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م.

٣٤- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ٤١.

٣٥- عبد العزيز المقالح، مقدمة الأعمال الكاملة للشاعر: أمل دنقل، ١٠: ١١.

على رحمانى: الرفض والتجاوز في شعر أمل دنقل، مخطوط، ماجستير نقد أدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية
المداب والعلوم الإنسانية، لغة عربية، الجزائر، ٢٠٠٣ م.
شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي الجاهلي، دار المعارف، ط ٨.
أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار صعب، بيروت.
ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، مادة صعلك، دار صادر بيروت، ط ١.
يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط ٣، ١٩٦٦ م.

